

الاستحضارُ التَّاريخيُّ لِكوفةِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام
(دراسةٌ تأريخيةٌ)

**Historical Remeniscence of Kufa | the Reign of
Imam Ali
(Historical Study)**

م. عبد الحسين علوان الدرويش
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم الاعلام

Lect. `Abidalhussein `Alwan Al-Darweesh
University of Mustansiriya / College of
Arts / Dept of Media

الاستحضارُ التاريخيُّ لكوفةِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام
(دراسةٌ تاريخيةٌ)

**Hesitation in the Syntactic Relationships
in the Poetry of Al-Mutanabi
(Reading on the Semantic Scopes)**

م. عبد الحسين علوان الدرويش
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم
الاعلام

Lect. `Abidalhussein `Alwan Al-
Darweesh
University of Mustansiriya / College
of Arts / Dept of Media

aldarwesh566@gmail. com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/٢/١١

تاريخ القبول: ٢٠١٩/٤/١٦

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث :

يستمد البحث أهميته من شخصية الإمام علي (عليه السلام) بوصفه رمزاً حضارياً وإنسانياً يعبر عن أسمى معاني الإسلام الروحية وتجسيدها في مختلف الأبعاد والمستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فضلا عن أن هذه الشخصية العظيمة حظيت باهتمام العلماء المسلمين وغير المسلمين قديماً وحديثاً. يتكون البحث من مبحثين، المبحث الأول: العواصم الإسلامية... جغرافية الأمكنة والذي يحتوي على محورين، المحور الأول: الكوفة قراءة في الجغرافية و المحور الثاني: الكوفة قراءة في التكوين التاريخي، أما المبحث الثاني الأبعاد الاستراتيجية لاختيار الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية، فيتضمن المحور الأول: الأبعاد الاستراتيجية للعوامل العسكرية، والمحور الثاني: البعد الاستراتيجي للعوامل الاقتصادية، ثم نتائج البحث و المصادر والمراجع.

Abstract:

The research derives its importance from the personality of Imam Ali as a cultural and human symbol that expresses the highest spiritual meaning of Islam and its embodiment in various dimensions, levels, political, economic and social aspects. This great personality has also attracted the attention of Muslim and non-Muslim scholars of old and recent times. There are two sections: the first tackles Islamic capitals... conquests and transfers of government and includes two axes, the first is about Kufa as geography and the second about the historical existence of Kufa. The second does the strategic and objective dimensions of the selection of Kufa as a capital of the Islamic Caliphate and also includes two axes, the first is about the strategic dimensions and the second about the objective dimensions. Finally, the study terminates with the conclusion, the results of the search, sources and references.

المقدمة

يستمد البحث أهميته من شخصية الإمام عليؑ بوصفه رمزاً حضارياً وإنسانياً يعبر عن أسمى معاني الإسلام الروحية وتجسيدها في مختلف الأبعاد والمستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية. وما زالت هناك أبعاد خافية على الرغم من أن العلماء، عمالقة الفكر، وجهابذة العقيدة وأساطين السياسة وأعلام القانون والادباء الكبار، منذ عصور طويلة خاضوا غمار هذا اليم، فهناك أبعاد على مستوى التطورات العلمية والمستقبلية للعلوم الإنسانية ومنظومة استقراء الاستراتيجية بعيدة المدى والتنظير في العلوم السياسية والاقتصادية والعسكرية والجغرافية المعاصرة. لكن ماذا أكتب عن هذه الشخصية العظيمة التي شملت صفات الكمال، ومحمود الشرائع والأخلاق وسناء الحسب وبإذخ الشرف؟ فقد اختص بقرابته من الرسول محمدﷺ فكان ابن عمه، وزوج ابنته فاطمة الزهراءؑ سيدة نساء العالمين. وكان كاتب الوحي وأحفظ الصحابة لحديثه، أسلم على يديه صبياً، ولازمه في الحرب والسلام.

هذا هو عليؑ الشخصية العظيمة التي حظيت باهتمام العلماء المسلمين وغير المسلمين قديماً وحديثاً. انها محاولة ومغامرة تجاوزت قدرتي فيها بحق لهذا الإنسان بكل ما للكلمة من أبعاد، المثال الحي والأنموذج الأمثل، إسلام يتجسد على الأرض بكل ما يحمله من قيم ومبادئ ومثل عليا وعبودية خالصة لوجه الله عز وجل. وقد قسمنا البحث على مبحثين:

المبحث الأول: العواصم الإسلامية... جغرافية الأمكنة. والذي يحتوي على محورين:

المحور الأول: الكوفة قراءة في الجغرافية. والمحور الثاني: الكوفة قراءة في التكوين التاريخي.

اما المبحث الثاني: الأبعاد الاستراتيجية لاختيار الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية والذي يحتوي على محورين: المحور الأول: الأبعاد الاستراتيجية للعوامل العسكرية. المحور الثاني: البعد الاستراتيجي للعوامل الاقتصادية. ثم الخاتمة التي تستخلص فيها اهم النقاط الرئيسة للمبحث والنتائج التي حصلنا عليها من هذين المبحثين ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في هذا البحث.

المبحث الأول: العواصم الإسلامية.... جغرافية الأمكنة

المحور الأول: الكوفة قراءة في الجغرافية

ارتبطت نشأة المدينة الاسلامية وتطورها بمعايير حضارية اسلامية تأثرت الى حد كبير بتاريخ الاسلام وتطور حضارته، يعكس هذا الارتباط والتأثير أسباب عوامل تطورها.

اما دار الإسلام فهي البلاد التي يسودها الحكم الإسلامي من دون قيد، وتحفظ فيها للكتابين امواهم وارواحهم، ويشترط بعضهم أن تتمتع بأكثرية مسلمة، وتعد شرطاً مهماً في تقرير بعض الاحكام الشرعية، وغاية الجهاد في الإسلام ردّ دار الحرب الى دار اسلام. وبديهي أن دار الاسلام يمكن ان تطلق على الدولة الاسلامية، والتي جاءت نتيجة تغيير نفسي واجتماعي لدى الامة، او الحكومة الاسلامية التي تأتي نتيجة تغيير الامة^(١).

وعند ظهور الاسلام ونهوض المسلمين للفتح، فإنهم إذا ارسلوا قائداً الى فتح بلد ولوه عليه قبل خروجه لفتحه. او شرطوا عليه اذا فتحه أن يكون أميراً عليه. وكان ذلك شأنهم من أيام النبي ﷺ.

وكانت ولاية الأعمال في بادئ الرأي أشبه بالاحتلال العسكري منه بالتملك.

وكان العمال، أو الولاة، عبارة عن قادة الجند المقيم بضواحي البلاد المفتوحة بما يعبرون عنه بالرابطة أو الحامية. وكانت الجنود الاسلامية تنقسم الى قوات تقيم في قواعد عسكرية ومكانها أقرب الى طريق الصحراء منها الى السواحل.

وجاءت تسمية الجند من القادة والجيوش التي أرسلت لبلاد الشام، والتسمية خاصة لبلاد الشام فقد سمي جنداً (لأنه جمع كوراً) والتجنيد يطلق على هذا التجمع، وجندت جنداً أي جمعت جمعاً، فيقال جند دمشق وجند قنسرين وجند الأردن، وكان سلطانها يشمل زماماً واسعاً يعادل زمام الولاية الرومانية أو البيزنطية التي تقع فيها القاعدة، ومن هنا فقد أطلق على هذه الولايات التي يحكمها قائد الجند، فالجند على هذا الاعتبار هي الولاية العسكرية، وكان أكثر ما تكون على الحدود. فكانت عساكر الشام أربعة أجناد تقيم في دمشق وحمص والأردن وفلسطين، ومنها تسمية هذه الاقاليم بالأجناد وقوات العراق كانت تقيم في الكوفة والبصرة^(٢).

اعتمدت المدن الاسلامية في تخطيطها على عدة عناصر أساسية تؤثر في تكوينها وميزت تخطيطها عن غيرها من المدن، فمنذ البدء كان (المسجد الجامع) و(دار الامارة) و(الخطة). ومع تطور مدن العالم الإسلامي تطورت عوامل وسمات أخرى. اعتمد تخطيط المدينة الإسلامية في البدء على مبدأ الدين والدولة والتقارب بين الدولة والمسلمين، فلما انتقل مقر الخلافة في مدن الإسلام بتوسع رقعة الدولة أسست العواصم الجديدة لتكون مقر الخلافة، الأمر الذي كان له الأثر في التعايش عن قرب مع الحضارات المتاخمة للحضارة الجديدة^(٣).

كانت هناك عوامل وراء اقامة المدن الاسلامية تتمثل بما يلي:

- ١) العوامل الثابتة: مثل العوامل الطبيعية (الجغرافية).
- ٢) العوامل المتغيرة، التي تحدث الحركة في النظام الكامل والنظام الظاهر،

مثل الدين والعقيدة والخلفية التاريخية والجوانب الاجتماعية والعادات والتقاليد والعوامل الاقتصادية.

والعامل الأهم هو العامل العسكري فقد أرادوا أن يظهرُوا قوة اندفاعهم في الفتوحات لجيرانهم، فضلاً عن خوفهم من العيش بلا حماية في مدن لم تكن سابقاً تحت حمايتهم. وقد ترجم هذا العامل لبناء قواعد للجند وقلاع وقد حولت بمرور الزمن إلى مدن عظيمة مثل البصرة والكوفة وتونس ودمشق وصعدة وصنعاء^(٤).

وهناك العامل الاقتصادي إذ إن الجزية تدفعها الأمصار غير الإسلامية التي لا ترغب في دخول الحرب مع المسلمين، فضلاً عن التوسع الذي حصل في الامبراطورية الإسلامية، فكانت هذه المدن مراكز لنشر الدعوة إلى الدين الإسلامي، هذا فضلاً عن نشاط حركة التجارة بين الأقاليم والمدن الإسلامية^(٥).

وظهر العامل الاجتماعي أيضاً من خلال توسع الامبراطورية الإسلامية، فأصبح كثير من الناس مهتماً بطريقة الحياة الإسلامية، وقد عمد الحاكم إلى إنشاء مدن جديدة وذلك لإيمانه بضرورة عدم البقاء في المدن التي أنشئت قبل الإسلام، وأنها تتطور بمرور الوقت إلى مركز حضري صغير وبعدها إلى مدينة. كما أنهم فضلوا إنشاء مدن جديدة لإسكان الجيوش وتوطينها^(٦).

بدأت نشأة المدينة الإسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول إليها والتي حولتها إلى مدينة بمفهوم حضاري واضح، انسحب على تسميتها، فأصبحت تسمى المدينة. فبعد الهجرة حدث تغيير واضح، سعى إلى تحقيقه الرسول محمد ﷺ، أساسه الدعوة إلى الإسلام، ذلك الدين الذي بدأت في ضوء قيمه وتعاليمه عملية تهيئة المجتمع الإسلامي الجديد لحياة حضارية تلازمت تماماً مع اهتمامه بالكيان المادي للمدينة فأدى ذلك تدريجياً إلى تكامل المراكز الحضارية الإسلامية.

أثمرت هذه السياسات المختلفة للنبي محمد ﷺ في تحقيق اهدافها نحو خلق مجتمع إسلامي مترابط بعيد عن النزعة القبلية المتعصبة، متجه نحو تطبيق تعاليم الدين الإسلامي، مرتبط بالأرض والوطن^(٧). ومن ثم أصبحت مركزاً سياسياً وإدارياً فاكتملت بذلك الصفة المدنية. وتوفرت للمنطقة التي نزل بها الرسول ﷺ، وهي منازل أخواله من بني النجار، ميزات أمنية مهمة لتقارب منازلها، وهي ميزات لم تكن تتوفر في منازل الأنصار الأخرى، وفي هذه المنطقة كانت بداية العمل الانشائي للتكوينات المعمارية، وكانت نواتها المسجد الجامع، ومن حوله أنشئت منازل للمهاجرين والموزعين في احياء الانصار، وفي هذا تجميع للمسلمين ليكونوا كتلة واحدة في مجابهة الاخطار المحدقة بهم^(٨).

مما سبق يتضح أن مسؤولية توزيع الخطط كانت في يد الرسول باعتبارها القائد، وان منهجه في توزيع الخطط هدف الى تجميع كل قبيلة في خطة خاصة بها، وتركت حرية تقسيم الخطة للقبيلة وفقاً لظروفها وإمكاناتها في الانشاء والتعمير، ومدى الحاجة الى ذلك، فكانها روعيت النظرة المستقبلية لامتداد العمران. وعلى هذا الأساس سار اقطاع الخطط والمنازل في المدن الإسلامية الناشئة، ومن أمثلة ذلك ما حدث في البصرة سنة ١٤هـ / ٦٤١ م، والكوفة سنة ١٧هـ / ٦٣٨ م.

وبذلك أصبح نظام تقسيم المدينة الى خطط تربط بين سكان كل خطة منها صلات معينة محوراً أساسياً بين المحاور التي قامت عليها أسس المدينة الإسلامية الناشئة^(٩). ويوم حل في ربوع الكوفة إمام الفقهاء والمتقين والزهاد، أصبحت الوارث الشرعي للمدينة المنورة، وعاصمة كبرى للخلافة الإسلامية.

والحديث عن عنفوانها وشموخها يرتبط بالحديث عن إمام الموحدين وقائد الغر المحجلين ووصي رسول رب العالمين وعصره الذهبي الذي بركة ذكره احتلت كوفان

منزلة سامية في نفوس المسلمين، ونالت قصب السبق بين البقاع الاسلامية في مرويات الصحابة وأهل البيت عليهم السلام. دخل الإمام عليه السلام الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين للهجرة المباركة، ولما تزل الكوفة تحت تأثير مراحل الاحداث الدامية التي عصفت بخلافة عثمان بن عفان، ولاشك ان دخوله على الرغم من هيئته والتأييد العارم الذي لقيه فيها لم يحسم الاحداث لمصلحته، فلم يرق لهم مبدأ العدالة والمساواة الذي مثله خطاب بيعته وسلوكه المتجسد على الواقع المعيش، فكان يعد سبباً مباشراً في انحياز عدد قليل من كبار الشخصيات آنذاك الى المعسكر الآخر.

وهذا غدت الكوفة عاصمة الدولة الاسلامية مدة خمس سنوات، إذ شهدت الكوفة مرحلة جديدة اتسمت بالنمو والانتاج في النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية كافة، وللجهود العلمية لخليفة المسلمين امير المؤمنين عليه السلام، بما اشتملت عليه من خطب ومواعظ وحلقات تعليم في الاختصاصات المختلفة ونشر الحكم بين الناس، من خلال التجوال في الاسواق، وازالة القيود والصعوبات التي تفرق بين الراعي والرعية، والاهتمام بنخبة طيبة من خواص صحابة الإمام علي عليه السلام والتركيز على تأهيلهم، من امثال كميل بن زياد وميثم التمار وحجر بن عدي وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين. أرسى بذلك القواعد العلمية الرصينة لهذه العاصمة الفتية بعناصر الحياة والتجديد وشروط النجاح والتواصل مع تقلبات الدهر وتحولات الظروف. فكانت بحق من اهم الحواضر الاسلامية على مر التاريخ، والتي انجبت الكثير من العلماء والعظماء والقادة والمفكرين والادباء، وقد امتلأت بهم كتب الرجال تسطر مآثرهم وتفخر بنتائجهم.

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَفَارَ التَّنُورُ ﴾ (سورة هود: ٤٠) كان موضع في مسجد الكوفة اليوم (اي في عصر الحميري في القرن الثامن الهجري الرابع

عشر الميلادي)، قال المفسرون في ذلك. وأشار الدكتور احسان عباس محقق كتاب الروض المعطار للحميري في هامش الصفحة نفسها (ص ١٣٧ هامش (١) مادة: تنور) نقلاً عن ابن الجوزي في كتابه زاد المسير ٤ / ١٠٥، بما نصه: ((واختلفوا في المكان الذي فار منه التنور، على ثلاثة: احدها: انه فار من مسجد الكوفة مكان التنور إلا في ناحية الكوفة))^(١٠).

إن الإرث الذي قدمه جورج سميث للأجيال اللاحقة، كان وثوقه أن طوفاناً قد حدث فعلاً، عارماً الى درجة انه قسم التاريخ البشري الى ما قبله وما بعده. حقيقة نشأة قصة الطوفان في بلاد ما بين النهرين أمّلت عليه أن يتوجه الى هناك للبحث عن دليل مادي.

قام سميث بإصلاح لوح يذكر واحداً من ملوك ما قبل الطوفان بالاسم، وهو (رجل شروباك) الذي تم إبلاغه بأن (يهدم منزله ويبنى سفينة). وتحدد الكتابة المنقوشة موقع مدينته على (ضفاف نهر الفرات)، في المكان الذي عرفه علماء الآثار باسم تل فاره، الواقع في منتصف الطريق تقريبا بين بابل ورأس الخليج العربي^(١١).

ان الموقع الجغرافي للشاطئ الغربي للفرات وهضبة النجف وكربلاء وظهر الكوفة يثبت صحة قول ابن الكلبي ان في بابل والكوفة جبلاً متواضعة، هذا القول الذي نفاه الباحثون المتخصصون المعاصرون لعدم اطلاعهم على جغرافية المنطقة تفصيلاً، وأثبت البحث ان (كوفان) و(النجف) و (ساتيدما) الواردة في كتب اللغة والبلدانيات العربية و (سريون) الواردة في الترجوم السامري والتوراة العبرية هي بمعنى واحد تعبر عن الوظيفة الطبيعية لطار النجف وطار كربلاء (يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ١٠٠ الى ١٥٠م) إزاء كربلاء والكوفة وهي حماية سكان الشاطئ الغربي للفرات من السيول السنوية التي من جهة الغرب حيث ترتفع ارضها الى ما

يقرب من (٥٠٠م) عن سطح البحر بين ٢٥ - ٢٩م. وبهذا يكون اهمية الشاطئ الغربي للفرات وكونه الجرف الحضاري الأول ومنطلق الحياة والحضارة بعد الطوفان انطلق نوح النبي المعمر وارث لغة ومدينة ما قبل الطوفان، ومؤسس لمدينة جديدة وتراث فكري وتشريعي إلهي بعد الطوفان، وقد انزل الله تعالى في ذلك كتاباً ودونه نوح على مسلة نصها على النجف وصارت المحور المركزي لثقافة ذريته من بعده. وقد انطلقت الجماعات تحمل اسم هذا الجبل كالسومريين والاكاديين والاموريين (الاربيين) والبابليين والآشوريين وهي الجماعات التي سكنت العراق القديم وعمرته وانطلقت الى شرق الأرض وغربها داخل العراق وخارجه تحمل رسالة نوح ولكنها حرفتها في كثير من جوانبها ولم يبق إلا النزر القليل.

هذا ما اكدته الدراسة الجديدة في ضوء القرآن الكريم وتراث اهل البيت (عليه السلام)، والتراث المساري والتراث العبري والتراث الاغريقي والتراث الآرامي والتراث السرياني الشرقي والغربي والتراث اللاتيني والتراث السنسكريتي والتراث المندائي والواقع الجغرافي للنجف وكربلاء، والتي تثبت ان النجف هو الموضع الذي رست عليه سفينة نوح (عليه السلام)، وان الكوفة أول مدينة بعد الطوفان استقر فيها نوح (عليه السلام) والتي انطلقت منها الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية في العراق بل في أرجاء العالم^(١٢).

شكلت منطقة (الظهر) بقعة جغرافية واحدة ذات مساحة شاسعة بنيت عليها المقابر والقصور والاديرة والقلاع والحصون، وغيرها، ويعود تاريخها الى عصور قديمة سبقت الاسلام ولاقتها في العصور الاسلامية فإن اقدم نص يشير الى قدم أرض النجف يعود الى عصر ما قبل الميلاد إذ ان الملك البابلي (بختنصر ٦٢٦ - ٥٣٩ ق. م) بني حيرا على النجف وحصنه ثم ضم القبائل العربية فيه واصبحت مدينة النجف الاشرف الحاضرة جزءاً من هذا الظهر؛ ولذا قيل عنها ظهر الحيرة

او ظاهرها، كما قيل لها: ظهر الكوفة أو ظاهرها. وهكذا ارتبطت النجف تاريخياً بهاتين المدينتين وكان ارتباطها بالحيرة في العصور التي سبقت الاسلام، وارتبطت بالكوفة في العصور الاسلامية؛ ولذا اطلق على ارض النجف لفظ (نجف الحيرة) و (نجف الكوفة). حظيت مدينة الحيرة، ودولة المناذرة بدراسات المعنيين بتاريخ العرب قبل الاسلام، ومن ثم في التاريخ الاسلامي وفي عهده الأولى، فضلاً عن بعض الجوانب على تاريخ الحيرة وصلتها بالمثلث الحضاري الذي يشمل (الحيرة والكوفة والنجف) فقد كانت المنطقة التي احتضنت هذا المثلث قد ربطتها الاحداث التاريخية حتى اصبحت تشكل وحدة جغرافية، وقد برز مصطلح (ظهر الحيرة وظهر الكوفة) ليختصر مساحة واسعة من الأرض تمتد الى اعماق البادية، من تاريخ الحيرة وابعادها التاريخية والجغرافية والاقتصادية والفكرية، فقد كانت قصور الحيرة ومعابدها وقلاعها قد احتلت مساحة في التاريخ، وقد وصفها الرحالة العرب والمسلمون والاجانب بدقة وان المعارك العسكرية التي دارت رحاها على أرضها ذات اهمية تاريخية^(١٣).

استمرت الممالك العربية بالظهور في مناطق الفرات الوسطى والجنوبية منذ العصر السلوقي، وكانت آخرها مملكة الحيرة التي قامت في منطقة بابل وعلى مقربة من المدينة، وكانت حدود هذه المملكة تمتد من بلاد بابل على الفرات وحتى الخليج العربي وساعدت بذلك على اقامة رأس الجسر الغربي للموجات العربية الاسلامية المندفعة لتحرير بلاد الرافدين عموماً^(١٤).

إن الخارج من الكوفة الى النجف لا يشعر بأن الأرض ترتفع شيئاً فشيئاً من تحت قدميه حتى يصل الى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، وما أن يتجاوزه الى غربه امتاراً لا تصل الى الألف حتى يجد نفسه على شفير أو جرف يطل على أرض منبسطة بعمق

يتراوح ما بين خمسة وعشرين متراً الى خمسين في بعض المواضع يسافر النظر فيها وقد تكونت بها بحيرة هائلة من فائض مياه نهر الفرات في غابر الزمان اطلق عليها اسم (بحر النجف) وما زالت بقاياها ماثلة للعيان. هنا يدرك الناظر الفارق بين الموضوعين، ويستطيع أن يقدر ايضا بسبب اتخاذ بقعة منه بين كربي سعدة الذي مثل الحدود الإدارية للكوفة الحديثة من جهتها الغربية وساحة ثورة العشرين بالنجف الاشراف من جهتها الشرقية مدفنًا خلال القرون الثلاثة من الهجرة النبوية المباركة. هذا المدفن الفسيح الذي هو جزء من (ظهر الكوفة) لوقوعه في جانبها الغربي أو جزء من (اللسان)؛ لأن الطبري قال: (واللسان: لسان البر الذي أدلعه في الريف وعليه الكوفة اليوم، والحيرة قبل اليوم) هو ايضا جزء من (الثوية)، وقد اختلف الآراء في سبب تسميتها وأرادوا ربطها بالمعنى اللغوي، فقالوا (الثوية) سجن بناه النعمان بن المنذر الذي عرف بطغيانه وجبروته، فمن دخله ثوى به. وعندما سميت (بقيع الكوفة) لم تتعد عن الصواب؛ لأنها لا تختلف كثيراً عن (بقيع المدينة المنورة) ولا شك في أن من ثوى بها من الصحابة والتابعين يعدل من ثوى منهم ببقيع المدينة المنورة مرات^(١٥).

تقع الكوفة (وقد سميت الكوفة لاستدارتها أو خد العذراء حسبها يذكر ياقوت) في الجانب الغربي من الفرات، على بضعة اميال من الجهة الشمالية - الشرقية من مدينة الحيرة القديمة، في السهل المحصور ما بين الفرات شرقاً والبادية المطلة على مشارف الشام وعمان غرباً. لقد أمر بتمصيرها عام ١٧هـ / ٦٣٨م عمر بن الخطاب، بعد معركة القادسية، ونفذ العمل القائد العسكري سعد بن ابي وقاص.

وكانت الغاية من بنائها أن تكون قاعدة عسكرية للقسم الاوسط للمسلمين بدل المدائن، ومن ثم مقراً للجنود ودار هجرة المسلمين، ثم تطورت الى مدينة. هذا كما

انها كانت محمية من الفيضانات ومغذاة تغذية جيدة بالمياه وذات مناخ صحي^(١٦). وقد وصفها الاسطخري في ٤٠٠هـ/ ١٠٠٠م فقال: (إنها قريبة من البصرة في الكبر وهوؤها اصح وبنائها مثل بناء البصرة)^(١٧).

وتخطيط الكوفة وبنائها هو على غرار البصرة التي خُطت قبلها بقراية ثلاثة اعوام (في حين يذكر ياقوت انها مصّرت في السنة التي مصرت فيها البصرة أو بعدها بعام او عامين). لقد كان المسجد الجامع ودار الامارة أولى أبنيتها. على أثر نزول القبائل فيها بدأ العمران، بحيث توافد عليها الناس من كل حدب وصوب. نمت الكوفة فيما بعد وتحصّرت وازدهر فيها العمران حتى اصبحت قبلة انظار العرب وزعمائهم^(١٨). الواقع انه ليس بالأمر السهل تحديد الرقعة التي شغلتها الكوفة عند انشائها؛ لأن الكثير من معالمها قد اندثر. لقد كانت مبنية من اللبن والآجر، مما يسهل هدمه وقلعه من اجل نقله الى أماكن سكنية أخرى.

كما ان الكتب التاريخية لا تشير الى ارقام عن المساحة التي شغلتها الكوفة في بادئ الأمر؛ لذلك بالإمكان القول إن الكوفة قد أقيمت في رقعة صغيرة من الفرات لا يتجاوز قطرها الكيلو مترين، على اعتبار ان المسجد الجامع ودار الامارة لا يتجاوز بعدهما حالياً عن النهر إلا قرابة كيلو متر وربع تقريباً^(١٩).

وعندما تغلب سعد بن ابي وقاص على الفرس ونزل عاصمتهم المدائن، بعث الى عمر بن الخطاب يخبره بهذا الفتح، فلما وصل وفده الى الاخير رأى الواهيم قد تغيرت وحالهم قد تبدلت، فسألهم عن ذلك، فقالوا وخومة البلد غيرتنا، فأمر ان يرتادوا منزلاً ينزل فيه المسلمون؛ لأن العرب لا يوافقهم من البلاد إلا ما وافق إبلهم. وكتب الى سعد أن ((ابعث سليمان وحذيفة راندين فليرتادوا منزلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر)) ففعل سعد ذلك، فاخترأوا مكاناً وراء الفرات بينه وبين

الحيرة، وبنوها أولاً بالقصب، كما بنوا البصرة، لتكون المنازل قريبة من الخيام، فلما خافوا الحريق استأذنوا البناء بالطين فأذن لهم، وكان ذلك في عام ١٧هـ / ٦٣٨ م^(٢٠). عندما كانت البصرة منزلاً للجيش في أول ظهورها فإن الأمر مختلف في ما يتعلق بالكوفة التي ظهرت نتيجة عمل وقرار مصمم ومسترسل من لدن السلطة، إذ كانت الكوفة مركزاً للجيش المحرر في معارك القادسية والمدائن وجلولاء وحسم موضوع تحرير العراق، فكان لا بد أن تحظى هذه المنطقة برعاية خاصة من لدن السلطة من حيث اختيار الموقع والتصميم والتخطيط اللاحق، وهذا ما حصل فعلاً، فقد تحدد مكان الكوفة بما يتسق واستراتيجية العرب في بناء المدن في صدر الاسلام، فلم تتخذ الحيرة ولا المدائن، وهما مدينتان قديمتان، مركزاً لاستقرار العرب المحررين، بل اختير موقع آخر للمدينة الجديدة، على مقربة من نهر الفرات؛ ولذلك أمّن هذا الموقع اهم عنصر من عناصر الحياة في المدينة، وهو الماء، فضلاً عن المزايا الأخرى^(٢١). اما (خطط الكوفة) فقد حرص مؤلفه وقبل ما يقرب من نصف قرن على أن يجوب أطلال الكوفة القديمة بنفسه وأن يدرس ويحقق ما تحت تلك الأكمات بما أفادته به المصادر التاريخية، ثم رسم خارطة للكوفة مطابقة للقرنين الأولين من الهجرة.

وعرض لنا صورة واضحة رصينة للكوفة، وذلك في التمهير وتثبيت القبائل البدوية الفاتحة المنتصرة. واستقرارها على حافة الصحراء، في ريف مماس الى لسان من الرمل يابس النافذ في منطقة تروى بمياه شط عظيم (الفرات) وفي جزء من ذلك القطر الذي كانت له مدينة زاهرة في الأزمنة الغابرة.

فالكوفة تقع أمام الحيرة حيث يوجد لسان من الرمل الذي يقترب عمودياً الى الفرات بين سهل مسقى من الجهة الشرقية وبطن من الجهة الغربية، وهنا على حافة البادية كانت توجد مسلحة لحراسة جسر الزوارق المنصوب على الفرات والذي

كان يؤدي للجادة المنتهية الى طيسفون كما انها اليوم تصل الى بغداد. فالكوفة متقدمة نحو الشط اكثر من الحيرة، وكانت تسيطر على الجسر الذي كان ينبغي ان يظل منصوباً على الدوام لأجل العبور الى الطريق التجاري الكبير الذي يربط اهالي آسيا بأقصى اليمن^(٢٢).

كانت الكوفة تقع على سطح فوق شاطئ الفيضان للفرع الرئيس للفرات في ذلك العصر، على ارتفاع يناهز ٢٢ متراً من مستوى البحر. ويرتفع الموضع فوق النجف غرباً، الذي كان بمنزلة الحوض المالح، وقد كان اصله محل نظر عند الجغرافيين العرب وكذلك فوق البطائح جنوباً التي كانت تمتد حتى البصرة، وهذه البطائح عبارة عن مساحة غارقة في الماء ينبت القصب والحلفاء. وأرض الكوفة مزيج من الحصباء والرمل الأحمر، فأما مصدر الحصباء فهو الرسوبات النهرية وأما الرمل الأحمر فهو متأث من الغرب. هذا ما يجعل هذا الموضع مكتسباً قيمة استثنائية بالنسبة للسكن البشري، كونه محاطاً من كل جانب بمناظر جغرافية تختلف شديد الاختلاف: الصحراء والنهر والبطائح والبحيرة المالحة، دون التأثير بمساوئها. وفي إمكان هذه الصلة الممتازة بين الصحراء والأرض الزراعية المستقرة المائية ان تنشئ نوعاً من التكامل ينبغي التعمق والتمعن فيه^(٢٣).

بعد موافقة الحاكم على انشائها، ووفقاً لتوجيهاته التخطيطية التي حددت اتساع شارعها الرئيس بأربعين ذراعاً، والشوارع الثانوية بثلاثين ذراعاً، والتي تليها بعشرين ذراعاً، وحدد اتساع الازقة والسكك الفرعية بسبعة أذرع. وانشئ المسجد في وسط المدينة وبجواره دار الإمارة، ومن هذه المنطقة التي تمثل مركز المدينة امتدت الشوارع خمسة في اتجاه الشمال، واربعة في اتجاه الجنوب، وثلاثة في اتجاه الشرق، ومثلها في اتجاه الغرب وقد اطلق الطبري على هذه الشوارع (مناهج اهل العزم). ثم

يصف الطبري المحلات السكنية للقبائل وصفاً يدل على توزيعها في خطط، عرفت بالقبائل التي تكون النسيج البشري للمدينة. ويستشف من الرواية التاريخية ان سوق المدينة كانت في منطقة الوسط، وكانت عبارة عن ساحة فضاء كما هو الحال في سوق المدينة المنورة. وبهذا يتضح ان تخطيط الكوفة سار على المنهج نفسه الذي وضع في المدينة المنورة ثم في البصرة^(٢٤).

المحور الثاني: الكوفة قراءة في التكوين التاريخي

سميت الكوفة بذلك؛ لاستدارتها أخذاً من قول العرب: رأيت كوفانا وكوفانا بضم الكاف وفتحها: الرميعة المستديرة، وقيل سميت الكوفة كوفة؛ لاجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل.. يتكوف تكوفاً إذا ركب بعضه بعضاً. ويقال أخذت الكوفة من الكوفان. يقال: هم في كوفان اي في بلاء وشر. وقيل سميت كوفة؛ لأنها قطعة من البلاد، من قول العرب: قد أعطيت فلانا كيفة اي قطعة. ويقال كف أكيف كيفاً اذا أقطعت. فالكوفة قطعت من هذا، انقلبت الياء فيه واوا لسكونها وانضمام ما قبلها. قال قطرب: يقال: القوم في كوفان اي في أمر يجمعهم. وقال ابو القاسم: قد ذهب جماعة إلى انها سميت كوفة بموضعها من الأرض. وذلك كل رملة تخالطها حصباء تسمى كوفة.

ومن هذه الأقوال المتضاربة، نستطيع القول إنها كلمة غير عربية وانها اعجمية تحريفاً لكلمة آرامية؛ إذ ان الكوفة كانت تسمى (العاقول) قبل بنائها، واذا رجعنا الى كلمة (عاقولا) الكلدانية نجد معناها آرميا، هو عوجة، فتلة الطريق. وأن الكوفة كان يقال لها (كوبا): كب، شوكة، كوبا وكملا (بتشديد الباء): هو نبات من نوع الحمض، العاقول بالمعنى الفصيح وبين كوبا الآرامية التي معناها الكب العربية، وبهذا تكون لفظة كوفة هي تحريف لكلمة (كوبا) الآرامية^(٢٥).

قيل بابل العراق، وقيل بابل دُباوند؛ وقال ابو الحسن: بابل الكوفة؛ وقال ابو معشر: الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمن الأول؛ ويقال ان أول من سكنها نوح عليه السلام، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدّفء، فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح، وملّكوا عليهم ملوكاً، وابتنوا بها المدائن، واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات، إلى أن بلغوا من دجلة الى اسفل كُسكر، ومن الفرات الى ما وراء الكوفة، وموضعهم هو الذي يقال له السواد، وكانت ملكوهم تنزل بابل؛ وكان الكلدانيون جنودهم، فلم تزل مملكتهم قائمة إلى أن قُتل دارا آخر ملوكهم، ثم قُتل منهم خلق كثير فذلوا وانقطع مُلكهم.

ومدينة بابل بناها بيوراسب الجبار، واشتق اسمها من اسم المشتري، لأن بابل باللسان البابلي الأول اسم المشتري، ولما استتمّ بناؤها جمع إليها كل من قدر عليه من العلماء وبنى لهم اثني عشر قصراً، على عدد البروج، وسماها بأسمائهم، فلم تزل عامرة حتى كان الاسكندر، وهو الذي خرّبها^(٢٦).

لما فرغ سعد بن ابي وقاص من وقعة القادسية، توجه الى المدائن فصالح اهل الرومية وبهرسير، ثم افتتح المدائن، واخذ اسبانبر، وكرديناد عنوة، فأنزها جنده فاحتوا، فكتب عمر الى سعد أن حولهم، فحوّهم الى سوق حكمت، فأصابهم البعوض كتب سعد الى عمر يعلمه أن الناس قد بعضوا وتأذوا بذلك. وولى الاختطاط للناس ابا الهيجاء الاسدي، عمرو بن مالك بن جنادة. وأول شيء اختطه ابو الهيجاء بالكوفة، المسجد الجامع ووضعه موضع اصحاب الصابون والتمارين غير الموضع الذي اختطه سعد حين النزول. ثم حفر خندقاً عليه وبنى في مقدمته صفة على رخام للأكاسرة جيء به من الحيرة، وكان قدرها مائتي ذراع لاجتماع الناس فيها كي لا يزدحموا ثم بنى اساطينها بغير مجنات ولا مواخير ولم

يكن للمسجد جدران- ثم إن عبد المسيح بن يقيلة اتى سعداً وقال له: أدلك على أرض انحدرت عن الغلات وارتفعت عن المباق فدلّه على موضع الكوفة اليوم، ثم وضع مسجدها ودار أمارتها في المقام العالي وما حوله، وكان تأريخ عسكرة سعد في الكوفة في محرم سنة ١٧ هـ واختطت الكوفة في التاريخ نفسه.

ولما تمصرت الكوفة وقسمت الى أرباعها المعروفة، كل ربع الى جانب من الجامع تختص به عدة قبائل، ثم قسمت الى محلاتها السبع فمرت بأدوار عديدة من العمران، واطوار كثيرة من التقدم العمراني من مضارب وخيم ثم الى دور من الطين، وبعدها من اللبن النيء، فأنشئت السكك والطرق والشوارع، ثم القصور المبنية من الآجر^(٢٧). وسكن الكوفة بعد إنشائها المجاهدون المسلمون ثم فرقة فارسية من فرق القائد رستم عدتها أربعة آلاف كانت تعرف باسم جند شاهنشاه، فاستأنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا، ويحالفوا من أحبوا ويفرض لهم العطاء، فأعطاهم سعدا ما سألوه، كما نزلها جماعة من يهود نجران ونصاراها عندما أجلاهم عمر عن شبه الجزيرة فأقاموا بمحلة عرفت بالنجرانية في الكوفة.

وارتفع شأن البصرة والكوفة بعد تمصيرهما وعظم امرهما، واصبح لهما شهرة عظيمة في قيادة الجيوش وحمل لواء العلم والأدب في العالم الاسلامي كله، بل انتقلت إليهما القوة من الحجاز، فاتخذ علي بن ابي طالب عليه السلام الكوفة مقراً لخلافته بعدها انتقل مركز الثقل الإسلامي الى الامصار على وجه الاجمال^(٢٨).

المبحث الثاني: الأبعاد الاستراتيجية لاختيار الكوفة عاصمة للخلافة الاسلامية

بعد الانتهاء من معركة الجمل ١٣ رجب سنة ٣٦ هـ/ الموافق ٤ / كانون الثاني / ٦٥٨ م قدم الإمام علي عليه السلام من البصرة الى الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين، ومعه أشرف الناس وأهل البصرة وكان في

استقباله أهل الكوفة ورجالها، وفيهم قراؤهم وأشرافهم، وزعماء القبائل، فدعوا له بالبركة، فأتبهم، وقال لهم: ((ما أبطأكم عني وأنتم أشراف قومكم؟ والله لئن كان من ضعف النية وتقصير البصيرة، إنكم لبور والله لئن كان من شك في فضلي، ومظاهرة عليٍّ أنكم لعدو))

قالوا: حاشا لله، يا أمير المؤمنين، نحن سلمك، وحرب عدوك، ثم اعتذر القوم، منهم من ذكر عذره، ومنهم من اعتل بمرض... وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى ركعتين ثم صعد المنبر وبعد اتمام الخطبة. قالوا له، يا أمير المؤمنين اي القصور ننزلك؟ فقال: لا ننزل قصر الإمارة لما وقع فيه من قبله من أمراء الجور وعمال النفاق^(٢٩). فمكث (عليه السلام) مدة في دار أخته أم هاني، ريثما بنى كوخاً في جانب الميدان فانتقل إليه فبذلك سمي هذا الميدان برحبة علي، ثم أقام في الكوفة واتخذها عاصمة لخلافته، واستعمل العمال ووزعهم على الامصار. وبهذا الحدث التاريخي الكبير، اصبحت قيادة الامة الاسلامية للإمام علي (عليه السلام) فهو الحاكم، والقائد الأعلى، والقاضي، ورئيس الدولة، ورئيس الإدارة كلها منذ مقدمه الشريف على عتبات الكوفة الغراء والأحداث التي جرت آنذاك، في مواطن ومواقع كثيرة.

يتضح لنا بروز القائد السياسي، لا يمكن أن يكون بعيداً عن تأثير البيئات المحيطة ابتداءً بالبيئة التي تؤثر في سلوك الفرد القائد مروراً بالبيئة الاجتماعية والسياسية، ومن خلال هذه البيئات التي تجعل منه عنصراً فاعلاً يتحدد سلوكه وتصرفاته إزاء المواقف والاحداث.

إن مقومات القيادة، التي تمثلت بالأمانة والعدل التي اتصف بها امير المؤمنين في تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أدت الى تميز في قيادة الإمام علي (عليه السلام) فجمعت التناقض بين شمولية الاهداف واتساعها وبين محدودية الوسائل والإمكانات وفقر البيئة. لكن

رغم ذلك سطرت حكومة الإمام علي عليه السلام أعظم الانجازات وعلى المستويات كافة. ومن اهم الصفات القيادية في شخصية الإمام عليه السلام هي القدرة على اتخاذ الطريق الصحيح في الوقت المناسب، الشجاعة الشخصية، والإرادة القوية الثابتة، وتحمل المسؤولية، والمعرفة الكاملة لمبادئ الحرب والقتال، ونفسية مستقرة ثابتة في كل الاحوال، وبعد النظر، والمعرفة السابقة لنفسية الجنود وخبرتهم، والثقة المتبادلة بين القائد وجنوده، وشخصية قوية مهيبة، واللياقة البدنية فضلا عن ذلك الامتداد الطبيعي والمشرق لبيت النبوة والطهارة والنسب إليه والتاريخ المشرف لسيرته العظيمة، إذ قال له الرسول محمد صلى الله عليه وآله: ((عليّ مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي))^(٣٠).

المحور الأول: البعد الاستراتيجي للعوامل العسكرية

عُرِّفَت الاستراتيجية بأنها العلم والفن في العمل البشري الهادف والإرادي والصعب، الرامي الى اهداف أو الى غايات محددة بدقة. وبهذا التصور تصبح الاستراتيجية في صميم علم العمل (praxeologie). إذاً فهي تهتم بكل مجالات العمل، وخاصة الفعاليات العسكرية والفعاليات الاقتصادية.

وهكذا يُقال إن الاستراتيجية هي فن جدل إرادات تستخدم موارد لكي تحل نزاعاتها؛ وهدفها الوصول الى القرار، وذلك يخلق ضغوطات على استثمار موارد الخصم، كافية لإجباره على تقبل الشروط التي يراد فرضها عليه^(٣١).

وبهذا التعريف يجب أن تفهم كلمة موارد بمعناها الواسع: موارد بشرية، وموارد طبيعية، وأرض، ومعدات. إن أصل مصطلح استراتيجية يرجع الى الأصل اليوناني استراتيجيةجوس (TRATEGOS) ويعني العام (GENERAL) مثلما ان التكتيك يرجع في اصله الى اليونانية: تاسو (Tasso) ويعني يعالج أو يدير Arrange. وإذا كان (كلاو سيفتز) قد عرّف الاستراتيجية بأنها ((نظرية استخدام المعارك لتحقيق

هدف الحرب)). لكنها عرّفت ((أن التكتيك هو فن قيادة القوات في المعركة))، أما الاستراتيجية فهي فن التخطيط والاشراف عن الحملة. فالاستراتيجية هي الأسلوب الذي يحاول القائد من طريقه جذب عدو الى المعركة، بينما التكتيك هو الوسائل التي بواسطتها يسعى لإنزال الهزيمة بالعدو في المعركة.

وفي المعنى السياسي الذي استخدم فيه مصطلح الاستراتيجية فإنه اقترن بفن القائد او فن القيادة. وبذلك فإن ما يقصد بالاستراتيجية (هي خطة عمل لدحر عدو او لتحقيق هدف ما، وتشير الاستراتيجية الى خطة شاملة الى أمد طويل تتألف من سلسلة من الحركات من اجل هدف عام) وفي الواقع إن لكل دولة استراتيجيتها الخاصة النابعة من أيديولوجيتها وسياستها والمستندة الى قدرتها المادية والمعنوية^(٣٢).

التفكير يُعد مقوماً أساسياً للسلوك الانساني، فإذا تأملنا سلوكنا في كل موقف من المواقف التي تواجهنا في الحياة سنجد أننا في ضوء تفكيرنا، بهذا الموقف نتمكن من الإحساس بالمشكلة وإدراك عناصرها، وتحديد الغاية ووضع الخطة واختيار الوسيلة. وعلى هذا الأساس أكد الإسلام أهمية التفكير للإنسانية؛ لذلك نجد التفكير في الإسلام يُعد فريضة أساسية على المسلم، فالسياق القرآني يوجه خطأً خاصاً للعقل الذي يفكر ويستخلص من تفكيره صفوة الرأي الرشيد. واعدت الاساليب والادوات اللازمة للصياغة الاستراتيجية غير أن من اهمها التفكير الاحتمالي والمعلومات والتنبؤ الاستراتيجي. وعند دراسة اهم المتغيرات المؤثرة في صياغة الاستراتيجية في مراحلها كافة. بدءاً بمرحلة التحليل الاستراتيجي ومروراً بمرحلة الصياغة الاستراتيجية وانتهاءً بمرحلة التنفيذ والتقييم الاستراتيجي. وبهذا يعد التفكير الاحتمالي من المواضيع المهمة والحساسة ذات المساس بإمكانيات وقدرات صانع القرار على المستوى الاستراتيجي، في الهيئات القيادية العليا^(٣٣).

والمنظور التاريخي العميق، يرسم صورة لمختلف الامبراطوريات التي شهدتها البشرية منذ العصور القديمة، ليستخلص منها خصائص المنطق الذي حدد مسيرتها. إن الامبراطورية لا هي دولة متساوية مع الدول الأخرى في الحقوق والواجبات ولا هي مجرد قوة ذات مكانة متميزة في حلف يُفترض به أن يضم دولاً متساوية من حيث السيادة، فهي تُريد أن تكون المركز السياسي الذي يدور حوله العالم، وتآمر بأمره الدول الأخرى. لقد كان مفهوم العالم يعني المنطقة التابعة لهذه الامبراطورية او تلك، فتزامن الامبراطوريتين الرومانية والصينية لم يسبب تداخل عوالمهما قط، فكل منهما كان لها عالمها الخاص.

إن المعيار الاساسي لدوام النجاح في قيام الامبراطوريات يكمن في تنفيذ الإصلاحات الضرورية لتجديد شبابها، اي الاقتداء بأوكتافوس الذي كان قد جدد شباب الامبراطورية الرومانية، حينما نفذ فيها إصلاحات جذرية نقلتها من قوة استغلالية تستحوذ على خيرات المستعمرات الى قوة امبراطورية تتميز بتوفرها على بنية سياسية واقتصادية واجتماعية لا تضمن للمركز الامبراطوري قطف ثمار التقدم والازدهار فحسب، بل تضمن للمناطق التابعة ايضا المشاركة في التمتع بهذه الثمار^(٣٤). على امتداد الزمن، تمكنت الشعوب، التي حظيت بعطاء القادة العسكريين والمبدعين في المجال الحربي، من تحقيق الازدهار والسيطرة على أراضيها والهيمنة على جيرانها. وقد وجدت الحضارات التي افتقدت القادة العسكريين الاقوياء نفسها مقهورة وخاضعة لغيرها او معرضة للإبادة التامة؛ اولئك القادة العسكريون الذين سادوا أزمانهم وفرضوا قدراً هائلاً من النفوذ والتأثير في المستقبل، وهؤلاء القادة يحكم كل واحد منهم بمقدار الأثر المباشر والمستمر الذي تركه في حياة الشعوب التي وقع عليها ذلك الأثر، ثم اتجاه التطور العسكري والمدني الذي تبع ذلك التأثير. كتب نابليون ذات مرة يقول: (لم تنهزم قبائل الغال (The Gauls) أمام الفرق

الرومانية ولكن الذي قهرهم هو قيصر. ولم ترتعد روما أمام الجنود القرطاجين، ولكن الذي جعلها ترتعد خوفاً هو القائد هنبيل. ولم تكن الكتيبة المقدونية هي التي وصلت الى الهند، وإنما هو القائد الإسكندر. ولم يكن الجيش الفرنسي هو الذي وصل الى نهري فيزر (weser) وإن (Inn) ولكن قاد ذلك الجيش الى هناك هو تورين ولم يكن جنود بروسيا فقط هم الذين تولوا الدفاع عن بروسيا طيلة سبع سنوات ضد القوى الأوربية الثلاث الأشد بأساً، ولكنه القائد فريدريك الأكبر وكما يقول (هلموت فون مولتكه) القائد العسكري هو قدر الأمة^(٣٥).

إذا كان السلوك السياسي يعني ذلك النشاط الانساني المتعلق بالمجال السياسي فإن تنظيم هذا المجال يفترض وجود فرد او جماعة مسؤوليتها تحقيق الإشباع للمجموعة المنظمة داخل هذا الإطار، ومن ثم لا يوجد في الكون تنظيم إنساني لا تترتب على قمته قيادة من فرد او مجموعة، فالقادة والزعماء هم من يضعون الأحداث في العالم، حقيقة لا بد من التسليم بها، حيث من يضع القرار هو الفرد القائد سواء في وقت السلم او الحرب، وإن توفرت الظروف السياسية والاقتصادية لهذه القرارات إلا أن من يتخذها هو القائد^(٣٦).

فالقيادة ليست فرداً، بل مهمات ومسؤوليات ووظائف لمصلحة الجماعة على أساس عملية سلوكية وتفاعل اجتماعي فيه نشاط موجه ومؤثر، وليست مجرد مركز ومكانة وقوة، فهي خدمة إنسانية للجماعة وتنبع منها تلقائياً، وحين تسمح معايير الجماعة لأحد أعضائها باستخدام قدراته الخاصة لخدمة المصلحة العامة^(٣٧)،

ان الخضوع للقائد كان أحد الاسباب المهمة التي أدت الى ظهور السلطة، فهذه الحاجة متأصلة في الانسان، فقد قال العلامة العربي عبد الرحمن بن خلدون (الملك منصب طبيعي للإنسان، لأن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم، وإذا اجتمعوا دعت الضرورة الى

المعاملة واقتفاء الحاجات، ومد كل واحد منهم يده الى حاجته يأخذها من صاحبه لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان)، ثم يقول (فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم وازع بعضهم عن بعض)^(٣٨).

نجد أن القيادة السياسية في التراث الإسلامي علاقة تفاعلية من منطلق استخلاف الله الإنسان في الأرض، هي صاحبة السلطة المقيدة زمنياً بالحياة الدنيا وموضوعياً بمراعاة شريعة الله، ويؤكد هذا المبدأ من ناحية أخرى أن القيادة في التراث الإسلامي واجب والتزام لا حق وامتياز (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)، لكون القيادة تعني القدرة وهي نظير الملكية وتقرّب الى الحق^(٣٩)؛ ولذلك ثمة إجماع في الفكر الإسلامي على وجوب وجود قائد يقود الدولة والسلطة السياسية^(٤٠).

إن المتمعن في الفكر الإسلامي يدرك أن حكمة القيادة بمسماها اللفظي لم تذكر في القرآن الكريم، ولكن على مستوى المعنى لمفهوم القيادة نجد ان هناك العديد من النصوص القرآنية التي أوردته مثل كلمة الإمامة ومشتقاتها، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وجعلنا للمتقين إماما ﴾ سورة الفرقان، آية ٧٤، وفي الحديث الشريف لم يتم استعمال كلمة القيادة بلفظها ولكن بمشتقاتها استخدمت استخداما كبيرا في السياق نفسه، ومنذ بداية القيادة الإسلامية للرسول ﷺ منذ تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، إذ إن دوره ﷺ لم يكن يقتصر على امور محددة او تنفيذية فحسب، بل كانت سيادته كاملة في حكمه للجماعة الإسلامية، فهو النبي، والرسول، والحاكم، والقائد الأعلى، والقاضي، ورئيس الدولة، ورئيس الإدارة كلها، وقد كانت حكومته دينية ودينية في الوقت نفسه^(٤١).

وبهذا تكونت مدينة الكوفة، فبعد انتصار المسلمين على الفرس في (معركة القادسية) أخذ سعد بن ابي وقاص بتعقب الجيوش الفارسية المنهزمة حتى وصل الى (المدائن) وبعد أن تم تحرير العراق نهائيا من السيطرة الفارسية، استقر سعد في

المدائن ثم أوعز الى بعض من اصحابه للبحث عن مكان آخر يكون مقرّاً لجيشه على أن تراعى فيه المواصفات التي ذكرها عمر، فاخترت الكوفة^(٤٢). عندها أمر سعد جيشه أن يعسكروا فيها، وينصبوا الخيام والمضارب^(٤٣).

لم يكن الصحابة (رض) في المدينة يؤيدون خروج امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) من المدينة، فقد تبين ذلك حينما همّ عليّ بالنهوض الى الشام، ليزور أهلها وينظر ما هو رأي معاوية وما هو صانع، فقد كان يرى ان المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق، فلما علم أبو أيوب الأنصاري (رض) بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ وبها قبره ومنبره ومادة الاسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن أجنّت حينئذٍ الى السير سرت وقد أعذرت... فأخذ الحاكم بما أشار به ابو ايوب وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار^(٤٤).

ولكنّ حدثاً كبيراً من المستجدات السياسية أرغمت الحاكم على مغادرة المدينة، وقرر الخروج للتوجه الى الكوفة ليكون قريباً من اهل الشام^(٤٥). وفي اثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير الى البصرة، فاستنفر اهل المدينة ودعاهم الى نصرته، وحدثت ثقائل من بعض أهل المدينة يرون ان الفتنة مازالت مستمرة، فلا بد من التروي حتى تنجلي الأمور اكثر، وخرج الإمام علي (عليه السلام) في تعبته الى الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين في سبعمائة رجل^(٤٦). وعندما بلغ امير المؤمنين (الربذة) والتي تقع شرق المدينة المنورة وتبعد ٢٠٤ كيلومترات، عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المئتين^(٤٧).

حين وصل الإمام (عليه السلام) الى الكوفة سنة ٣٦هـ اتخذها عاصمة للخلافة الاسلامية في أخرج حقبة زمنية يمر بها الإسلام، ولا بد لكل عاصمة من قوة عسكرية مكلفة أمرين:

الأول ل حمايتها؛ لأنها مقر الدولة الاسلامية والثاني لإعداد الجيوش التي تحارب في اطراف البلاد، وهذا يقتضي معسكراً كبيراً، والمعلوم ان المعسكرات اذا كانت داخل المدن تفسد السكان والجند فلا تتحقق الغاية من إعداد الجيوش؛ لذلك نجد اغلب المعسكرات الحربية تقع في اطراف المدن؛ لذلك كانت أرض النخيلة هي المعسكر الذي اتخذته الإمام علي عليه السلام لتجمع الجيوش وتدريبها.

والنخيلة تصغير نخلة وهو موضع قرب الكوفة على سمت الشام، واليوم لا يخرج عن حدود مدينة الكفل الحالية، وأمر عليه السلام الاسباع من اهل الكوفة أن اخرجوا الى معسكرهم بالنخيلة بدلالة الخروج اليها وكان الناس على معرفة بمكان المعسكر، فإنه عليه السلام عسكر بها وهو في طريقه الى صفين ولم يتحرك منها حتى قدم عليه ابن عباس من البصرة، وفيها خطب عليه السلام بالمقاتلين وهم مجتمعون للخروج الى صفين بعد أن بعث مقدمته الى الشام.

وبهذا تكون النخيلة هي مدخل الكوفة بالنسبة الى القادم من الشام من طريق الأرض المأهولة بالسكان، فمن أراد الشام او الموصل خرج منها، ولذلك لما عاد عليه السلام من صفين الى الكوفة كان مروره عليها.

وهذا المعسكر يكشف بوضوح خريطة الكوفة من النخيلة حتى مركزها حيث المسجد والقصر وإنما كانت مأهولة بالسكان وقد توزعت القبائل العربية الإسلامية والموالي حولها واغلب سكانها قد امتدوا شمالا باتجاه الحلة حيث نهر الفرات، وان بيوت الكوفة كانت ترى من النخيلة^(٤٨).

المحور الثاني: البعد الاستراتيجي للعوامل الاقتصادية

بعد توجه عائشة والزبير وطلحة الى البصرة وتحريض الناس على مقاتلة الإمام عليؑ وجيشه، ارتأى امير المؤمنين عليؑ ان ينتقل الى العراق لأسباب استراتيجية للعوامل العسكرية والقيادة وقد تكلمنا عليها، اما السبب الثاني هي العوامل الاقتصادية. وهذا الانتقال الى الكوفة جعل الإمام عليؑ قريباً من الاموال والرجال كما عبر بذلك بنفسه، وأفقد هذا الاجراء الاهمية الاقتصادية للمدينة المنورة واطرف دورها السياسي. فكان بداية الضعف الذي دب في المدينة مما جعل دورها ينحسر تدريجياً في المجال الاقتصادي والسياسي وخاصة بعد الاجراء التالي الذي جعل من دمشق عاصمة زمن معاوية. ورغم ان الأخير كان قد عدّ بني امية مسؤولين عن مصرع عثمان. فإنه ناوأ الإمام عليؑ عاداً نفسه ولي دم عثمان وتحمل مسؤولية أخذ ثاره، وسعى الى تفتيت صفوف الإمام عليؑ ببذل المال بين صفوف جنده^(٤٩). واستطاع معاوية أن يستعين ببعض الشخصيات المهمة من طريق بذل الاموال، فعمرو بن العاص ناصر معاوية لقاء ان يستأثر بخراج وجزية مصر طول حياته، فأصبحت مصر طعمة لعمرو وعائلته^(٥٠). وكان معاوية يقدم الأمن لولاة الإمام عليؑ المتلاعبين بالاموال كما حصل مع يزيد بن حجية التيمي الذي سرق اموال الري^(٥١). وحاول أن يستميل قيس بن سعد بأن بذل له ألف درهم على ان يسير معه او ينصرف عنه فأرسل إليه بالمال وقال: ((تحذعني عن ديني))^(٥٢). كما ان الإمام عليؑ تشدد مع اخيه عقيل ومنعه من التلاعب بأموال الأمة قد جعل عقيلاً يلجأ الى معاوية فاختر التيار الدنيوي^(٥٣).

يبدو ان سياسة معاوية قد جذبت اليه انصارا واطعفت تيار الزهد، ومع ان الاتقياء قد وقفوا ضد التيار الدنيوي وناصروا القبائل في العراق، إلا انهم عادوا الى الوقوف في

صف معاوية ومناهضة القبائل للعلاقة بين الدولة والسلطة الدينية ووحدة الجماعة^(٥٤). كانت سياسة الإمام علي عليه السلام في المجال الاقتصادي، من حيث لم يكن عليه السلام محسوباً من اثرياء قريش^(٥٥). فقد كان قبل أن يلي الخلافة مستاءً من تصرفهم واتساع ثرواتهم، وكان يتوعدهم ويلوح بأنه سيغير اشياء كثيرة إن صار الأمر بيده^(٥٦)، ولا بد أن يقف ضد هذا الإجراء كبار أثرياء قريش والجماعات التي اتسعت ثروتها بحكم ان قريشاً قد استفادت من عملية مبادلة الأرض زمن عثمان ومن اطلاق يدها في الصوافي^(*) ولذا لم يكن غريباً أن وجدنا بين صفوف المناوئين لعلي كبار الأثرياء من تجار وملاكين. ويظهر أن سياسة الإمام علي عليه السلام في مصادرة اموال عثمان واعادتها الى الامة واعطاء ورثته حصتهم الطبيعية ومن ثم توزيع المال بالسوية قد آثار مخاوف قريش والمستفيدين من التفاوت في العطاء^(٥٧).

عني الإمام علي عليه السلام بعمارة الأرض والرفق في جباية الخراج، إذ أوصى احد عماله: ((... وليكن نظرك في عمارة الأرض ابليغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد...))^(٥٨). ورغبة في تنظيم الاقتصاد وسعياً لمنع التلاعب بالأموال، فقد كان يعين عاملاً على المصر لتدبير شؤونها الإدارية، وعاملاً على الخراج وبيت المال، وكان يوصي بإصلاح الأنهار؛ لأن ذلك اعظم فائدة في جباية الخراج واستقرار الاحوال الاقتصادية^(٥٩). يتضح مما تقدم ان الاضطراب الاقتصادي يتجلى في حالة التجزئة التي حصلت وجعلت بعض الامصار تستقل سياسياً واقتصادياً مثلما استقل معاوية في الشام وكان له اقتصاده الخاص يتصرف فيه كما يشاء، فضلاً عن توقف حروب التحرير، وما كانت تجلبه من عوائد مادية بسبب الصراع الداخلي، فضلاً عما تطلبه هذا الصراع من استنزاف للموارد.

الخاتمة

هناك اسباب وعوامل عدة لاختيار الإمام عليؑ الكوفة عاصمة للدولة الاسلامية المباركة، بدلاً من المدينة المنورة، تتفاوت أهمية هذه العوامل والاسباب عند التأسيس وتداخل بعضها ببعض، وهذه العوامل تجمعت وتضافرت عند نشأتها وحسب سياق البحث، وإذا أردنا معرفة الاعتبارات التي اقتضت اختيار الكوفة وترك المدينة، فإن الإمام عليؑ كان يواجه تحدياً سافراً من التيار الديني واصحاب الثروة والمستفيدين الذين كانوا يطمحون بالحصول على امتيازات اكبر على حساب الدين والأمة وعلى حساب الشرعية.

وبذلك اصبحت المدينة لا تتوفر فيها عوامل النجاح العسكري والسياسي، لمواجهة تلك التحديات، ولم تكن تتوفر فيها كثافة سكانية تتحمل اعباء مواجهة للتحديات، كذلك لا تتوفر في المدينة الموارد الاقتصادية التي تستطيع ان تؤمن احتياجات جيش يُعدّ بعشرات الألوف، وإنّ المدينة لم تكن شديدة الولاء للشرعية المتمثلة في الإمام عليؑ، وهناك نقطة اخرى للجيل الجديد في المدينة انه لم يكن مؤهلاً لخوض الحروب الطاحنة التي خاضها الإمام عليؑ. وعليه وقع اختيار الإمام عليؑ على الكوفة؛ لأنها تقع في قلب الدولة الاسلامية، الموقع الجغرافي الاستراتيجي المهم، وصلتها بالجزيرة العربية، وتشابه البيئة بينهما، المناخ المعتدل الذي يلائم عرب الجزيرة، وقربها من نهر الفرات وامتدادها الطبيعي الذي يوصلها بالمدينة المنورة وتوسطها المدينة والشام، فهي تتربع على كنفين الصحراء من جانب والمياه من جانب وقربها الى الشام والبصرة، ولا يفصلها بحر عن المدينة.

وكان للعامل التاريخي أثره في الاختيار، فالكوفة أول مدينة بعد الطوفان استقر فيها النبي نوح عليهما السلام وانطلقت منها الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية في

العراق بل في العالم اجمع، فهي وارثة مدينة الحيرة تاريخيا، وأن نشأة الكوفة عربية كانت بعيدة عن المؤثرات الاجنبية كالهندية والفارسية وغيرهما، فالقبائل العربية التي كانت ساكنة في الحيرة في عصر ما قبل الاسلام والتي اتخذت من المسيحية ديانة، وخلال الادوار التاريخية التي مرت بها المنطقة وتداولها للحضارات الانسانية الى ان اصبحت قبة الاسلام والمصر الاعظم والعراق الأول اما العامل الاستراتيجي العسكري، فكان تأسيس الكوفة جاء لضرورة عسكرية تطلبتها دواعي العمليات العسكرية لتحرير العراق، فمن الناحية الاستراتيجية ان يتخذ الجيش الاسلامي المحارب موقعاً او معسكراً ثابتاً من ميدان القتال، حتى يستريح عندها الجيش من عناء السفر والحرب. لذلك قيل ان الكوفة دار هجرة ومنزل جهاد، او كوفة الجند. وقد جاء تمصير الكوفة بعد موقعة القادسية وتكشف طبيعة الموضع المختار عن القيمة السوقية له فقد جعلت الصحراء خط حماية للجيش الاسلامي وخط دفاع مهم جداً إذا ما تراجع الجيش غرباً.

اما العامل الاستراتيجي الاقتصادي فمدينة الكوفة قادرة اقتصاديا على التموين المستمر للجيوش التي سوف تواجه الحرب، لما تملكه هي والمناطق القريبة إليها من ثروات زراعية متمثلة بالسواد الذي كان يجاذي الفرات، ثم تمكنها من الاتصال السريع بالمناطق الأخرى وقت الحاجة إليها. بالإضافة الى الموقع التجاري في المنطقة. اما العامل الاجتماعي والفكري، فالكوفة اتخذها العرب والمسلمون مصراً في المدة بين ١٧ - ٣٦ هـ وعاصمة للخلافة الاسلامية بين ٣٦ - ٤٠ هـ وقد نزلت مدينة الكوفة القبائل العربية المقاتلة وخططت منازلها بعد تخطيط المسجد ودار الإمارة. وكانت مدينة الكوفة تمتلك الطاقات البشرية التي تؤمن القوات الكافية في مواجهة اي تحدد. جاهد الإمام (عليه السلام) طوال حكمه من اجل المحافظة على وحدة الامة وتماسكها،

وقد اضطر من اجل ذلك الى نقل مركز حكمه من المدينة الى الكوفة ليكون قريبا من مركز الاحداث.

اما الجانب التكويني الذي يضيفي على كوفان اهمية وقداسة فيتضح من الروايات الواردة عن النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله واهل البيت عليهم السلام.

تلخص المقولة الرائعة لرئيس دولة الحكومة العلوية ((الكوفة بها معدن العلم، وكنز الايمان، ومصابيح الهدى، وسيف الله ورمحه يصيب به من يشاء ليتصرن الله بها أهلها كما انتصر بالحجارة))^(٦٠) كل الابعاد الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية والعوامل الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والفكرية.

الهوامش

- ١) جواد حسن طالب، الدليل الثقافي، (بغداد، مطبعة اسعد، ط ١، ١٩٧٢م)، ص ٥٥.
- ٢) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، (مصر، دار الهلال، الجزء الأول)، ص ١٥٠ - ١٥٢.
- ٣) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، (بيروت، ط ١، ١٩٩٨م)، ص ٣٦٧.
- ٤) مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية المؤثرة في نشوء وتطور المدن الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، (بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٥م)، ص ٦٢ - ٦٥.
- ٥) هاشم خضير الجنابي، التركيب الداخلي لمدينة الموصل، (العراق، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨١م)، ص ٣٤.
- ٦) اسامة محمد نوري الجوهري، اعلام المباني اسباب التباين بين عمارة الحديث والقديم من المباني في مدينة الرياض، (مجلة البناء، العدد ٢٨، ١٩٨٦م، الرياض)، ص ٢٥.
- ٧) عبد الله بن ادريس، مجتمع المدينة في عصر الرسول ﷺ، (السعودية، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٢م)، ص ١٣٣ - ١٤٧.
- ٨) خليل السامرائي و نائر حامد محمد، المظاهر الحضارية للمدينة المنورة في عهد النبوة، (الموصل، ١٩٨٤م)، ص ١٦.
- ٩) الكتاني، التراتيب الإدارية، (بيروت، ط ١، ١٩٧١م / الجزء ٤)، ص ٧٧ - ٧٨.
- ١٠) محمد كريم ابراهيم حسين، المعجم الجغرافي في القرآن الكريم، (مجلة المصباح، العدد (١٤)، صيف / ٢٠١٣م، كربلاء المقدسة، تصدر عن الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة)، ص ٢٩٦.
- ١١) وليم ريان و والتر بتمان، طوفان نوح، ترجمة فارس بطرس، (بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٥) ص ٦٩.
- ١٢) سامي البدري، النجف مرسى سفينة نوح ﷺ، (النجف الاشرف، مجلة تراث النجف، العدد ١، ٢٠٠٩م، تصدرها مؤسسة النجف الحضاري والديني، بحث مستل من المجلة)، ص ٦ - ٩.
- ١٣) حسن عيسى الحكيم، الحيرة جذوة الحضارة واصالة التراث، (طهران، منشورات المكتبة الحيدرية، ط ١، ١٤٣١هـ)، ص ٩ و ص ٤٣١.
- ١٤) نخبة من المؤلفين، العراق في التاريخ، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣م)، ص ٢٦٣.
- ١٥) صلاح مهدي الفرطوسي، الثوية بقبع الكوفة، (بغداد، دار الجواهري، ط ١، ٢ جزء، ٢٠١٣م، الجزء (١))، ص ٣٣.
- ١٦) عاطف علي، موسوعة عواصم الاسلام، (بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٠م)، ص ٢٤٧.

- ١٧) غي لُسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، تعريب وتعليق بشير فرنسيس و كوركيس عواد، (بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٤٥م)، ص ١٠١.
- ١٨) زكريا بن محمد محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر)، ص ٢٥٠.
- ١٩) حسن الأمين، دائرة المعارف الاسلامية الشيعية، (بيروت، دار المعارف للمطبوعات، ط ٥، ١٠ أجزاء، ١٩٩٨م، جزء (١٠))، ص ٣٦.
- ٢٠) عبد الرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً، (بغداد، دار اليقظة العربية، ط ٧، ١٩٨٢م)، ص ١٣٧.
- ٢١) عبد الحكيم غنتاب الكعبي، تاريخ مشكلة الموارد المائية في البصرة والمدن الاسلامية الأولى، (مجلة المؤرخ العربي، العدد (٦١)، ٢٠٠٣م، بغداد)، ص ٧١.
- ٢٢) الميسيو لويس ماسينيون، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة تقي محمد المصعبي، تحقيق د. كامل سلمان الجبوري، (بيروت، دار القارئ)، ص ٧-٢٠.
- ٢٣) أ. د. هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية، (الكويت، جماعة الدراسات العربية في التاريخ والمجتمع، ط ١، ١٩٨٦م)، ص ٩٧-٩٨.
- ٢٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة، ١٩٨٦م)، ص ٢٤٩ و ص ٢٤٨٩-٢٤٩١.
- ٢٥) معن حمدان علي، مباحث عراقية في الجغرافية والتأريخ والآثار وخطط بغداد، (بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م) ص ١٣٨-١٤٠.
- ٢٦) حسني زينته، جغرافيا الوهم، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ط ١، ١٩٨٩م)، ص ٤٠-٤١.
- ٢٧) كامل سلمان الجبوري، تاريخ الكوفة الحديثة، (النجف الاشرف، مطبعة الغري الحديثة، ط ١، ١٩٧٤م، الجزء الأول)، ص ١٧-١٨.
- ٢٨) علي محمد الصلابي، سيرة عمر بن الخطاب، (بيروت، دار المعرفة، ط ٣، ٢٠٠٥م)، ص ٢١٧.
- ٢٩) ابن خياط، تاريخ خليفة، تحقيق اكرم ضياء العمري، النجف الاشرف، مطبعة الاداب، ١٩٦٧م، ص ١٥٥.
- ٣٠) صحيح البخاري، محمد ابن إسماعيل البخاري، القاهرة، طبعة دار الحديث، الجزء الخامس، ص ٢٧٨، باب مناقب علي ابن طالب (عليه السلام).
- ٣١) تيري دي مونبريال وجان كلين، موسوعة الاستراتيجية، ترجمة د. عل محمود مقلد، (بيروت،

- مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١١م)، ص ٨-٩.
- (٣٢) ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، (بيروت، دار النهضة العربية، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ٨٦-٨٧.
- (٣٣) محمد مصطفى جمعة، التنبؤ الاستراتيجي، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، ٢٠١٢م)، ص ١١ و ١٩.
- (٣٤) هير فريد مونكلر، الامبراطوريات، ترجمة عدنان عباس علي، (ابو ظبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ١٩-٥.
- (٣٥) مايكل لي لاننج، ١٠٠ قائد عسكري، (ابو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط ١، ١٩٩٩م)، ص ٩-١٠.
- (٣٦) سويم العزي، علم النفس السياسي، (عمان، اثناء للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)، ص ٥١.
- (٣٧) نجلاء ابو جهجه، القائد: السلطة وفن التسلسل، (بيروت، مركز الدراسات والترجمة، ٢٠١٠م)، ص ٧١.
- (٣٨) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (بيروت، دار العلم، ١٩٨٤م)، ص ١٨٧.
- (٣٩) محمد السند، النظام السياسي عند الأمامية، (غيران، مكتبة فذك)، ص ٤٣.
- (٤٠) هاشم الموسوي، الثقافة السياسية الإسلامية، (طهران، مؤسسة الهدى، ٢٠٠٠م)، ص ٦٦.
- (٤١) رمضان محمد بطيخ، اصول التنظيم الإداري في النظم الوضعية الإسلامية، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م)، ص ٣٢٣.
- (٤٢) ابو الحسن علي بن ابي المكارم الشيباني المعروف بأبن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق علي شيري، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٩٨٩م، جزء ٤)، ص ٤٩٠.
- (٤٣) احمد بن يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، (بيروت، دار صادر، جزء ٢/٢)، ص ١٢٩.
- (٤٤) محمد بن حيان بن احمد، الثقات، (مكة المكرمة، مكتبة مدينة العلم، ط ١، ١٣٩٣هـ، الجزء ٢/٢)، ص ٢٨٣.
- (٤٥) خالد بن محمد الغيث، استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، (جدة، دار الاندلس الخضراء، ط ١، ١٤١٨هـ)، ص ١٨٣.
- (٤٦) ابي جعفر، تاريخ الطبري، (بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٩٨٧م، الجزء ٥/٥)، ص ٤٨١-٥٠٧.
- (٤٧) عبد الحميد علي ناصر فقيهي، خلافة علي بن ابي طالب عليه السلام، رسالة علمية غير منشورة، (المدينة المنورة، الجامعة الاسلامية) اشرف د. اكرم ضياء العمري، ص ١٤٣.
- (٤٨) رسول كاظم عبد السادة، النخيلة معسكر الإمام علي عليه السلام في الكوفة، (مجلة حولية الكوفة،

- العدد الثاني، آب - ٢٠١٢م، تصدر عن امانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به)، ص ٦٤ - ٦٩.
- (٤٩) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، ط ٢، ١٣٨٢هـ)، ص ٣٢ و ص ٤٣٥.
- (٥٠) ابو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، (مصر، مكتبة نهضة مصر، ٤ أجزاء، ١٩٥٦م، جزء ١) ص ٣٢٥.
- (٥١) ابن بكار الزبير، الاخبار الموفقيات، تحقيق د. سامي مكّي العاني، (بغداد، رئاسة ديوان الاوقاف، ١٩٧٢م) ص ٥٧٥.
- (٥٢) تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، جزء ٢، ص ٢٠٣.
- (٥٣) محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٦م)، ص ٧١.
- (٥٤) هاملتون جب، دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة د. احسان عباس، (بيروت، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٧٩م)، ص ١٠.
- (٥٥) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المحاسن والاضداد، تحقيق فوزي عطوي، (بيروت، دار صعب، ١٩٦٩م)، ص ٢٠.
- (٥٦) محمد عمارة، علي بن ابي طالب، نظرة عصرية جديدة، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٧٤م)، ص ٢٦ - ٢٧.
- (٥٧) ابو محمد احمد بن اكرم الكوفي، كتاب الفتوح، تحقيق محمد عبد المعيد خان، (الهند، دائرة المعارف العثمانية، الاجزاء، ١٩٦٨ - ١٩٧٥م، جزء ٢) ص ٢٤٨.
- (٥٨) الإمام علي (عليه السلام) نهج البلاغة شرح محمد عبده، (بيروت، دار المعرفة، ٤ اجزاء، جزء ٣)، ص ٩٧.
- (٥٩) تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، جزء ٢ / ٢، ص ١٩٠.
- (٦٠) محمد بن علي بن الحسن العلوي الحسني الكوفي، فضل الكوفة وفضل أهلها، تحقيق محمد سعيد الطريحي، هولندا، اكااديمية الكوفة، ط ٤، ٢٠١٠م، ص ٦٤.

المصادر والمراجع:

- *جواد حسن طالب، الدليل الثقافي، (بغداد، مطبعة اسعد، ط ١، ١٩٧٢م)، ص ٥٥.
- * الاستاذ آدمز متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، اسم المترجم محمد عبد الهادي ابوريده، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٤، ٢ مجلد، ١٩٦٧م، المجلد الثاني، ٢٦٨).
- *جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، (مصر، دار الهلال، الجزء الأول)، ص ١٥٠ - ١٥٢.
- *عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، (بيروت، ط ١، ١٩٩٨م)، ص ٣٦٧.
- *مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية المؤثرة في نشوء وتطور المدن الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، (بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٥م)، ص ٦٢-٦٥.
- *هاشم خضير الجنابي، التركيب الداخلي لمدينة الموصل، (العراق، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨١م)، ص ٣٤.
- *اسامة محمد نوري الجوهري، اعلام المباني اسباب التباين بين عمارة الحديث والقديم من المباني في مدينة الرياض، (مجلة البناء، العدد ٢٨، ١٩٨٦م، الرياض)، ص ٢٥.
- *عبد الله بن ادريس، مجتمع المدينة في عصر الرسول ﷺ، (السعودية، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٢م)، ص ١٣٣ - ١٤٧.
- *خليل السامرائي و نائر حامد محمد، المظاهر الحضارية للمدينة المنورة في عهد النبوة، (الموصل، ١٩٨٤م)، ص ١٦.
- *الكتاني، الترتيب الإدارية، (بيروت، ط ١، ١٩٧١م / الجزء ٤)، ص ٧٧-٧٨.
- *محمد كريم ابراهيم حسين، المعجم الجغرافي في القرآن الكريم، (مجلة المصباح، العدد ١٤)، صيف / ٢٠١٣م، كربلاء المقدسة، تصدر عن الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة)، ص ٢٩٦.
- *وليم ريان و والتر بتان، طوفان نوح، ترجمة فارس بطرس، (بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٥) ص ٦٩.
- *سامي البدري، النجف مرسى سفينة نوح ﷺ، (النجف الاشرف، مجلة تراث النجف، العدد ١، ٢٠٠٩م، تصدرها مؤسسة النجف الحضاري والديني، بحث مستل من المجلة)، ص ٦-٩.
- *حسن عيسى الحكيم، الحيرة جذوة الحضارة واصالة التراث، (طهران، منشورات المكتبة الحيدرية، ط ١، ١٤٣١هـ)، ص ٩ و ص ٤٣١.
- *نخبة من المؤلفين، العراق في التاريخ، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣م)، ص ٢٦٣.
- *صلاح مهدي الفرطوسي، الثوية بقيق الكوفة، (بغداد، دار الجواهري، ط ١، ٢ جزء، ٢٠١٣م، الجزء (١))، ص ٣٣.
- *عاطف علي، موسوعة عواصم الاسلام، (بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات

- والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٠م)، ص ٢٤٧.
- * غي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، تعريب وتعليق بشير فرنسيس و كوركيس عواد، (بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٤٥م)، ص ١٠١.
- * زكريا بن محمد محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر)، ص ٢٥٠.
- * حسن الأمين، دائرة المعارف الاسلامية الشيعية، (بيروت، دار المعارف للمطبوعات، ط ٥، ١٠ أجزاء، ١٩٩٨م، جزء (١٠))، ص ٣٦.
- * عبد الرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً، (بغداد، دار اليقظة العربية، ط ٧، ١٩٨٢م)، ص ١٣٧.
- * عبد الحكيم غنتاب الكعبي، تاريخ مشكلة الموارد المائية في البصرة والمدن الاسلامية الأولى، (مجلة المؤرخ العربي، العدد (٦١)، ٢٠٠٣م، بغداد)، ص ٧١.
- * المسيو لويس ماسينيون، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة تقي محمد المصعبي، تحقيق د. كامل سلمان الجبوري، (بيروت، دار القارئ)، ص ٧-٢٠.
- * أ.د. هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية، (الكويت، جماعة الدراسات العربية في التاريخ والمجتمع، ط ١، ١٩٨٦م)، ص ٩٧-٩٨.
- * الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة، ١٩٨٦م)، ص ٢٤٩ و ٢٤٨٩-٢٤٩١.
- * معن حمدان علي، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد، (بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م) ص ١٣٨-١٤٠.
- * حسني زينّه، جغرافيا الوهم، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ط ١، ١٩٨٩م)، ص ٤٠-٤١.
- * كامل سلمان الجبوري، تاريخ الكوفة الحديثة، (النجف الاشرف، مطبعة الغري الحديثة، ط ١، ١٩٧٤م، الجزء الأول)، ص ١٧-١٨.
- * علي محمد الصلابي، سيرة عمر بن الخطاب، (بيروت، دار المعرفة، ط ٣، ٢٠٠٥م)، ص ٢١٧.
- * (٣٠) تيري دي مونبر يال وجان كلين، موسوعة الاستراتيجية، ترجمة د. عل محمود مقلد، (بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١١م)، ص ٨-٩.
- * ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، (بيروت، دار النهضة العربية، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ٨٦-٨٧.
- * محمد مصطفى جمعة، التنبؤ الاستراتيجي، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، ٢٠١٢م)، ص ١١ و ١٩.
- * هير فريد مونكلر، الامبراطوريات، ترجمة عدنان عباس علي، (ابو ظبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ١٩-٥.
- * مايكل لي لانج، ١٠٠ قائد عسكري، (ابو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث

- الاستراتيجية، ط ١، ١٩٩٩م)، ص ٩-١٠.
- *سويم العزي، علم النفس السياسي، (عمان، اثراء للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)، ص ٥١.
- *نجلاء ابو جهجه، القائد: السلطة وفن التسلط، (بيروت، مركز الدراسات والترجمة، ٢٠١٠م)، ص ٧١.
- *عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (بيروت، دار العلم، ١٩٨٤م)، ص ١٨٧.
- *محمد السند، النظام السياسي عند الأمامية، (غيران، مكتبة فذك)، ص ٤٣.
- *هاشم الموسوي، الثقافة السياسية الإسلامية، (طهران، مؤسسة الهدى، ٢٠٠٠م)، ص ٦٦.
- *رمضان محمد بطيخ، اصول التنظيم الإداري في النظم الوضعية الإسلامية، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م)، ص ٣٢٣.
- *ابو الحسن علي بن ابي المكارم الشيباني المعروف بأبن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق علي شيري، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٩٨٩م، جزء ٤)، ص ٤٩٠.
- *احمد بن يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، (بيروت، دار صادر، جزء ٢/ ١٢٩).
- *محمد بن حيان بن احمد، الثقات، (مكة المكرمة، مكتبة مدينة العلم، ط ١، ١٣٩٣هـ، الجزء ٢/ ٢٨٣).
- *خالد بن محمد الغيث، استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، (جدة، دار الاندلس الخضراء، ط ١، ١٤١٨هـ)، ص ١٨٣.
- *ابي جعفر، تاريخ الطبري، (بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٩٨٧م، الجزء ٥)، ص ٤٨١-٥٠٧.
- *عبد الحميد علي ناصر فقيهي، خلافة علي بن ابي طالب عليه السلام، رسالة علمية غير منشورة، (المدينة المنورة، الجامعة الاسلامية) اشراف د. اكرم ضياء العمري، ص ١٤٣.
- *رسول كاظم عبد السادة، النخيلة معسكر الإمام علي عليه السلام في الكوفة، (مجلة حولية الكوفة، العدد الثاني، آب - ٢٠١٢م، تصدر عن امانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به)، ص ٦٤-٦٩.
- *نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، ط ٢، ١٣٨٢هـ)، ص ٣٢ و ٤٣٥.
- *ابو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، (مصر، مكتبة نهضة مصر، ٤ أجزاء، ١٩٥٦م، جزء ١) ص ٣٢٥.
- *ابن بكار الزبير، الاخبار الموفقيات، تحقيق د. سامي مكّي العاني، (بغداد، رئاسة ديوان الاوقاف، ١٩٧٢م) ص ٥٧٥.
- *تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، جزء ٢، ص ٢٠٣.
- *محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٦م)، ص ٧١.
- *هاملتون جب، دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة د. احسان عباس، (بيروت، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٧٩م)، ص ١٠.

- *ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المحاسن والاضداد، تحقيق فوزي عطوي، (بيروت، دار صعب، ١٩٦٩م)، ص ٢٠.
- *محمد عمارة، علي بن ابي طالب، نظرة عصرية جديدة، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٧٤م)، ص ٢٦-٢٧.
- *ابو محمد احمد بن اكثم الكوفي، كتاب الفتوح، تحقيق محمد عبد المعيد خان، (الهند، دائرة المعارف العثمانية، الاجزاء، ١٩٦٨ - ١٩٧٥م، جزء ٢) ص ٢٤٨.
- *الإمام علي (عليه السلام) نهج البلاغة شرح محمد عبده، (بيروت، دار المعرفة، ٤ اجزاء، جزء ٣)، ص ٩٧.
- *تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، جزء ٢ / ص ١٩٠.
- * هي الأراضي التي كانت لكسرى وأهل بيته وأرض من قتل في الحرب وأرض من هرب.
- *محمد بن علي بن الحسن العلوي الحسيني الكوفي، فضل الكوفة وفضل أهلها، تحقيق محمد سعيد الطريحي، هولندا، اكاديمية الكوفة، ط ٤، ٢٠١٠م، ص ٦٤.